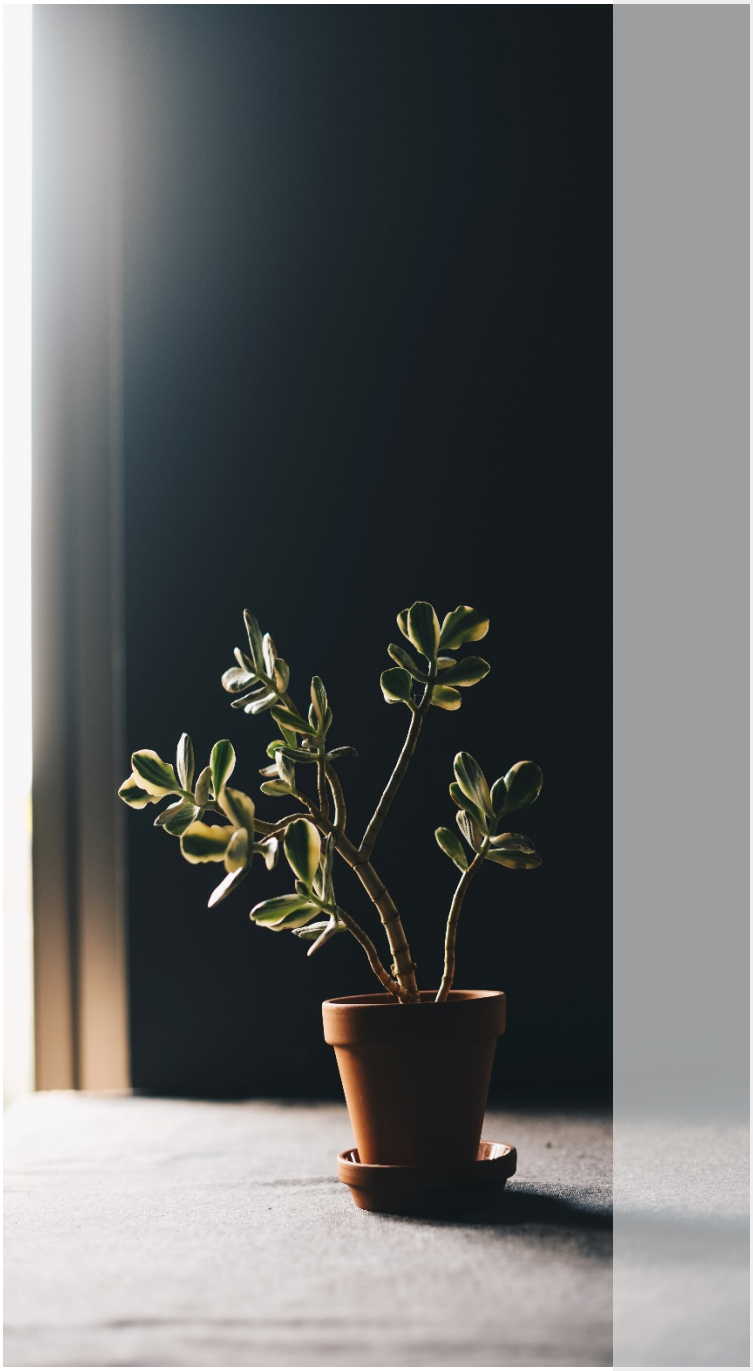

تفريغ محاضرة

خذ من فراغك لشغلك

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

٢٤ / ١٢ / ١٤٤٠ هـ

من نحن ؟

نحن مجموعةٌ نهلنا من معين محاضرات د. هند بنت حسن القحطاني، التي هطلت بروائها على قلوب السامعين، ولما شهدنا ذلك الهطل غيثا مُغيثا مريئا، عملنا بكلّ جدٍ وحُبٍ على جمع المحتوى وتنظيمهِ ونشرهِ ليسيلَ عَذبًا إلى قلوبكم

نسعدُ بملاحظاتكم واستفساراتكم على البريد الإلكتروني:

info@rawaa.org

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله.

أولًا كل عام وأنتم بخير وتقبل الله منكم صالح الأعمال، وتقبل الله من الحجيج حجهم، وإن شاء الله يكون الحجيج قد دعوا لنا ولم ينسونا، وأظنّ أن من حج هذه السنة من منة الله وفضله عليه أنه لحق بهذا الحج، فكل من حج هذا العام يقول إن الحج كان حجًا استثنائيًا،

فأسأل الله ألا يجعلنا من المحرومين، وأن يبلغنا بنيّاتنا أجر من حج منهم.

كان من المفترض أن نبدأ المحاضرات مع بداية الدراسة صحيح؟ لكنني لمّا اطّلعت على التاريخ وجدتُ أننا في آخر أسبوع من ذي الحجة، اليوم هو يوم 24 من ذي الحجة، وبقي ستة أيام على انتهاء السنة، فقلتُ لو تقابلنا الأسبوع المقبل سنكون قد دخلنا في سنة جديدة،

وأردت كما بدأنا السنة معًا أن نختمها معًا،

ونلحق على ما بقي منها ونغتنم هذه الأيام الستة المتبقية من العام،

علّنا نضع فيها شيئًا ينفعنا عند الله عز وجلّ.

خلال هذه الفترة ومع تصرّم الأيام وانتهاء موسم رمضان، وانتهاء موسم عشر من ذي الحجة، يخرج الإنسان ربما بطاقة وشعور يريد أن يحافظ عليه، وعلى مكتسباته الإيمانية، ويحاول لملمة نفسه مع بداية عام جديد واستعدادات عام جديد، ولربما كلنا بدأنا ندخل في الجو العام للرجوع إلى الدوامات، والمدارس، والتجهيز، والطُلَّاب.. وغيره.

وما إن يبدأ الأسبوع القادم حتى ندخل في **الدوامة** من جديد، ودخولنا في هذه الدوامة معناه أن نكون كالإنسان الذي يدخل في دائرة ويدور يدور يدور إلى أن نعي بأنفسنا وإذا بنا منهكين في رمضان القادم إن كتب الله لنا حياة، فهذا الشيء يجعل أيامنا طوال الوقت

كأننا داخل **دوّامة** وفي عجلة،

نركض من يوم إلى يوم ومن سنة إلى سنة،

وكل سنة تسلّمنا للتي بعدها،

وكل يوم يسلّمنا للذي بعده، الليل يسلّمنا للنهار والنهار يسلّمنا لليل، ونحن في داخلهم لا نقدر على أن نوقف الشمس ولا أن نوقف يومًا جديدًا من أن يبدأ، فليس ثمة لحظة تستطيع فيها أن تقول:

يا جماعة أوقفوا هذا الوضع أريد أن أفكر قليلًا، وأن أعدّل حياتي، وأن أخطط،

ليس بمقدورك فعل هذا، الوقت يجري من عمرك وغالبًا هذه الخواطر تأتي في بدايات هذا العام ويجلس الإنسان بعدما انتهت مواسم الطاعات ويسأل

" في العام القادم، ما الجديد الذي أريد تغييره في حياتي؟ والقرارات التي اتخذتها، كيف أحافظ عليها؟ وكيف سأنتفع من سنة من العُمر مرَّت بدروسها وأحداثها، وبمسراتها وبأحزانها؟ كيف أنتفع فيها للعام القادم وآخذ منها دروسًا حياتية؟"

هذه الخواطر دائمًا ما تجول في دواخلنا وتولّد لدينا لحظة ارتباك قبل أن ندخل في السنة الجديدة، وثمة أناس منظمون يضعون لأنفسهم أهدافًا طويلة الأجل، وأهدافًا قصيرة الأجل،

وأهدافًا كبيرة في الحياة وأهدافاً لهذه السنة ماذا يريدون أن يحققوا فيها؟

وبين هذا وذاك نحنُ لا زلنا **مستمرون** في الحياة، وبعضنا أصلًا ينتهي من يوم ويدخل في يوم، وينتهي من سنة ويدخل في سنة، وهو ما فكر إلى أين هو ذاهب ولا من أين يجيء؟ فما الذي فعلتهُ في السنة الماضية؟ لم يفكر فيها! وما الذي سأفعله في السنة القادمة؟ لم يفكر فيها! يعيش حياته كيفما جاءت جاءت.

إذًا أين الحياة؟

لذلك، حديثنا اليوم سيكون عن حديثين اثنين للنبي عليه الصلاة والسلام،

هذان الحديثان لا أكاد أشك أن جميعكم يحفظها،

لكن هذين الحديثين فيهما ميزة أنَّهما

منهج حياة!

وكل أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام هي منهج **حياة**،
لكن هذين بالذات ينيران لك. دعونا نقول إنها كالإضاءات لحياتك وتساعدكِ الآن في قراراتك التي تنوي أخذها لسنتك الجديدة. لديكِ سنة جديدة، وأولويات، وخطة تريد وضعها، هذان الحديثان مثل النبراس يكونان أمامك وتستطيع على ضوئهما أن تقدم أشياءً وتأخّر أشياء، وتسارع في أشياء وتشعر أن ثمة أشياء ليست من دائرة اهتماماتك أو مجال حياتك أصلًا
ولا تتسع لدائرة الأولويات.

نبدأ في الحديث الأول الذي رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه، بدأ ابن عمر الحديث بقوله:
"أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي" تأمّلوا حتى الآن لم نذكر الحديث،
"أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي" معناه أن الحديث لم يكن حديثًا أُلقي هكذا، وإنما أخذ بمنكبه، وفي هذا إشارة مهمة أن ثمة كلامٌ مهمٌ ووصية مهمة يريد أن يقولها عليه الصلاة والسلام له، فيقول **"أخذ بمنكبي"** وقال النبي عليه الصلاة والسلام:
(كُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) [أخرجه البخاري، صحيح]
وكلما ذكرت هذا الحديث اذكره مع شَدّة كتف النبي عليه الصلاة والسلام، شَدّةِ يده لكتفك!
"أخذ بمنكبي" شد على كتفه وقال له:
(كُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) [أخرجه البخاري، صحيح]،
الآن هذا الحديث ليس بحديث موعظة ولا هو حديث وصية عابرة لا، هذا **منهج** حياة.
والنبي عليه الصلاة والسلام يعلمنا كيف نعيش مع
هذه الدنيا، أنَّك لا تعيش فيها عَيش المُقيم الدائم، عِش بها دائمًا كأنك غريب أو عابر سبيل.

فدعونا نأخذ هذه الكلمات رويدًا رويدًا ونحاول أن نفهم ما الذي يقصده
النبي عليه الصلاة والسلام
من هذه الكلمات.

"غريب" الغريب عن الأرض الذي هو ليس من أهلها،
كمجموعة من جنس معيَّن من أرض معينة ويأتي شخص آخر من غيرهم ويعيش معهم،
فدائمًا يكون لديه شعور من **عدم الانتماء**، أني أنا لا أنتمي لهذه الأرض ولا أنتمي لهؤلاء الناس،
أنا قادم عندهم لفترة أعمل وأرجِع، أنا قادم عندهم لفترة مؤقتة أو لمهمة مؤقتة وسأرجع،
لكن شعور الانتماء غير موجود الآن.
إذا يقول النبي عليه الصلاة والسلام لا تشعر بالانتماء لا للدنيا ولا لأهل الدنيا، فأنت عليك أن تحافظ على نفسك دائمًا من الدنيا، ألّا تستهلكك ولا تستغرقك فتشعر أنها هي أقصى أمانيك، وتكون أقصى أحلامك أشياء تحققها فقط في دنياك.

"أو عابر سبيل" عابر سبيل تعني الإنسان المسافر. فذاك غريب في الأرض،
أما عابر سبيل فأشد! فهو الإنسان المارّ الذي سيقطع الطريق ويرحل، أما الغريب فقد يستقر في أرض الغربة، وسيجلس فيها، لكنّ عابر السبيل هذا لن يستقر أساسًا بل هو **مُغادر**،
فكأنه يتزود بماء من أرضهم ويذهب، فهو لا يهمه أصلًا أن يجلس معهم، ولا يهمه أن يحقق أي أشياء أو أي إنجازات؛ لأن هذه الأرض ليست أرضه هو فقط جاء ليتزوّد بالماء وسيخرج،
"أو عابر سبيل" يشدّ النبي عليه الصلاة والسلام كتف عبد الله ابن عمر فيقول له:
(كُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) [أخرجه البخاري، صحيح]
ماذا نفهم نحنُ من هذا الحديث؟ كُن دائمًا على جناح السفر، وكلمة على جناح السفر تعني أن نشعر دائما **بالخطر**، فدار الدنيا ليست بدارنا ولا مقرنا، وأولوياتنا في الحياة يجب أن تتغير،
وقراراتنا المؤجلة يجب أن تتغير؛
لأنها إذا ما كانت الدنيا هي حياتنا

إذًا أين الحياة؟

يقول مؤمن آل فرعون:

(يا قومِ إنّما هذه الحياة الدنيا متاع وإنَّ الآخرة هي دار القرار) [39، غافر]،

فهو ينصح قومه ويقول لهم **(إنّما هذه الحياة الدنيا متاع)** أي مجرد زاد كأنها حقائب سفر أنت تصنعها، متاع قليل، عابر سبيل.

(وإنَّ الآخرة هي دار القرار) الآخرة هي التي ستستعد فيها هناك،

يقولها لآل فرعون **لماذا**؟

لأنه كان أمام أناس متجبرين طغاة متمسكين بعقيدتهم الفاسدة، آل فرعون مؤمنون أنّ فرعون هو إلههم، **(ما علمت لكم من إلهٍ غيري)** [38، القصص]،

(وهذه الأنهار تجري من تحتي) [51، الزخرف]

فقد تجبّر فرعون وطغى وكان يظن والفراعنة كلهم في ذلك الوقت يظنون أن فرعون هو الإله ومتمسكون بهذا المبدأ فيأتيهم مؤمنٌ آل فرعون يحرك هذا الإيمان في دواخلهم ويقول لهم مهلا، الدنيا التي أنتم تتنافسون فيها الآن من أجل قلب فرعون، هذه الدنيا التي أنتم متمسكون فيها بعقيدة تعرفون أنها باطلة هي دار المتاع، هي **مؤقتة** بتوقيت قليل جدًا

وإنَّ الآخرة هي دار القرار! هذه الحقيقة الآن

وهذا الأمر لم يكن غير معروف عند الفراعنة، لذلك كان عندهم التحنيط والذهب الذي كانوا يدفنونه عند موتاهم؛ لأنهم يعلمون أن هناك حياة آخرة بغض النظر عما يؤمنون فيه، لكن كانوا يعرفون أنَّ هناك دار أُخرى ستكون، فإذا بُعث يذهب مع ذهبه وأمواله، لكنه كان ينصحهم بأنَّ الدار الآخرة هي

دار القرار وأنَّ هذه إنما هي الدنيا.

دخل رجل على أبي ذر وأبو ذر أحد الصحابة المتأخرين
الذين أدركوا فتوحات الشام والعراق وغيرها. دخل عليه رجل وقلّب بصره في بيته ونظر إلى أعلى السقف وقال له: يا أبا ذر أين المتاع؟! يعني كيف تعيش هكذا؟
قيل إنه لم يجد إلّا البساط الذي يجلس عليه وينام عليه وقدح، وهو الذي يشرب فيه، فقال له:
"إن لنا بيتًا نوجه إليه أثاثنا وليس هذا ببيتنا" [أخرجه ابن أبي الدنيا في الزهد، حسن].
فيقول له: هذا ليس بيتي، بل لدي بيت ثانٍ هناك أوجه له وأرسل له الأثاث هو لنا بيت إقامة نتوجه إليه ونستقر فيه، ففهم الرجل مراده فقال له:
"لكنه لابد لك من متاع ما دمت هاهنا"، يعني طالما أنت موجود في هذه الدنيا لابد لك من متاع أكثر من القدح والبساط تقوّم بها أمورك، فقال له أبو ذر: **"إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه"**،
أي كم سيجعلنا نمكث؟ عشر سنوات؟ عشرين سنة؟ ثلاثين سنة؟ صاحب المنزل ويقصد به الله عزّ وجلّ، لا يدعنا، أي أنا في أي لحظة سأغادر، هذا المفهوم لا يعني أن هؤلاء ناس زاد إيمانهم لدرجة أنّهم يشعرون بهذا الشعور لا بل كانت هذه حقيقة **الإيمان**، أن تعيش وأنت طوال الوقت تعرف أنك في أي لحظة تنقص تذكرتك، وفي أي لحظة قد يقال لك انزل، لذلك إذا أصبحت فلا تنتظر المساء!، ابن عمر لما كان يحدث بهذا الحديث: "أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال:
(كُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) [أخرجه البخاري، صحيح]
كان دائمًا ما يقول خلفها مباشرةً: فإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح.

هذا الانتظار هو ألّا يكون عندك وقت **لتؤجل**،
أي سأقوم بفعل هذا الأمر الليلة ليس غدًا بل الليلة، وهو كان يقول إذا أصبحت لا تنتظر المساء، أي لا تؤجل إلى المساء. تذكر أولوياتك المؤجلة وكثيرا من الأشياء التي أنت مقتنع اقتناعًا تامًا وكاملًا أنها هي الأولى وهي الأحسن وهي الأفضل، لكن ما زلت لم تتخذ قرارًا بشأنها،
وما زلت تنتظر المجهول، تنتظر لحظة تصبح فيها أقوى،
والحقيقة تقول لك إذا أصبحت **لا تنتظر** المساء!

دخلوا على أحد الصالحين في بيته فقالوا له:

إنا نرى لك بيتَ رُحَّل، يعنون بيتك ليس ببيت استقرار، بيتك بيت رُحّل يعني كأنه بيت مسافرين، لا شيء فيه. فقال لهم: أمرتحل؟ يعني أنا أصلًا كمرتحل أي كأني مسافر،

فهو يستنكر عليهم يقول: أمرتحل؟ بل أُطرد طردًا!

كم عمرك؟ أربعة وعشرون؟ ثلاثون؟ دخلتِ الأربعين؟ تعدّيتِ خمسًا وأربعين؟

تعديتِ خمسًا وعشرين؟ دخلتِ في الثلاثين؟

كم عمرك؟ يُطرد طردًا!

كأنّه يقول يا ليتني أكون مسافرًا، فالمسافر هو الذي يقرر متى يرحل ومتى يرجع،

قال: **بل أُطرد طردًا.**

الحقيقة أنك مع بداية عام جديد أنت لا تملك إلا الدخول فيه، لا تستطيع أن تتوقف وتقول لا أريد أن أدخل، انتظروا.. هذه الأربعون لم أعمل فيها بشكل جيد أريد أن تُعاد مرة أخرى، لا تستطيع أن تُطالب **بإعادة**!

ستدخل إلى الـواحد والأربعين إذا كتبها الله لك، وستدخل الاثنين والأربعين إلى أن يأذن الله بالنزول **"يُطرد طردًا"**، ولذلك قال بعض العلماء:

"عجبتُ ممن الدنيا مولية عنه والآخرة مقبلة عليه، يشتغل بالمدبرة ويُعرض عن المقبلة"،

كلامه هذا نمرّ عليهِ دائمًا، لكن لنتوقف قليلًا ونتخيلها حقيقةً أنَّ الآخرة مقبلة عليك، هي بوجهها آتية وتقترب منك، والدنيا مدبرة عنك أصلًا وتذهب وأنت تلحق بها، تخرجت الآن.. تريد وظيفة.. وما بعده.. وتلحق بها وهي قد أخذت منك زهرة شبابك أخذت منك ما تريد، والشيطان أخذ منك ما يريد، وهي **مُدبرة** الآن، الدنيا تبتعد عنك والآخرة تقترب، الصحة تقل، الفراغ يقل، كل الأشياء المهمة الآن عندك تبدأ تقل، والآخرة تقبل عليك وأنت لا زلت منشغل بالدنيا، فيقول:

عجبتُ ممن الآخرة مقبلة عليه والدنيا مدبرة عنه،

ينشغل بالمُدبرة ويترك من هي مقبلة عليه.

هذا الكلام الذي أقولهُ هو **منهج حياة!**

أنت لابدّ أن تضع دائمًا هذه التي تقبل عليك نصب عينيك، في كل يوم نمضي فيه أنت تقبل على مرحلة من عمرك، مرحلة تقربك للآخرة، وتبعدك عن الدنيا،

ولذلك زيادة العمر هي إما حجة لك أو حجة عليك.

الأمر الآخر في هذه الغربة يقول الحديث:

"كن في الدنيا كأنك غريب"[أخرجه البخاري، صحيح]

الناس في الغربة على نوعين: غريب بدأ يتعامل على أنه **مقيم** ونسي مسكنه الأصلي، وبدأ يتكلم بلهجة البلد الذي حل عليه، ونسي أنّ له أرض سيعود إليها فيستقر فيها، لذا تراه يشتري بيت ملك، ويؤسس ويبدأ يفكر في أبنائه، وفي هذا المكان على أنه مقيم، لكنه يظل على خطر لأنّ الأرض ليست بأرضه وفي أي لحظة قد يُخرجه قانون جديد أو قرار جديد أو حكومة جديدة ، وهذا حاصل، أناس كثيرون كانوا مستقرين ولعشرات السنين وبعضهم ولدوا في البلد ومع ذلك بجرّة قلم إذا بهم قد رحلوا وأخرجوا منها! ، أما الغريب الآخر فهو غريب **مستوحش** في غربته لأنه يشعر أن هذا المكان ليس بمكانه وأنه لا ينتمي إليه، حسنًا هذا الغريب والمسافر،

إذًا كيف نكون مع الدنيا؟

[إلى مقرّك الأصلي]

نحن نعيش في الدنيا أصلًا ونحن نفكر هذا بيتي

وهذه وظيفتي وهؤلاء ناسي وهؤلاء أهلي وهؤلاء عيالي وهذا مكاني الذي أنا مستقرٌ فيه،

فكُن دائمًا كأنك **غريب**، تعلم أنك في أي لحظة ستغادر وليس فقط ستغادر

بل ستغادر حتى أحب وأقرب الناس إليك!

وهذه المغادرة ليس لها أي إرهاصات حتى تستعد لها، فليس من الضروري أن تحلم قبلها بيوم أو يومين أن سنك يسقط أو أنك تموت، أو أن تشعر بدنو أجلك، كثيرون من الذين نعرفهم رحلوا في طرفة عين، ولم يحصلوا على هذا **التغشيش**! فإما يُقبض على عمل صالح وإما يُقبض على غيره، وإما يُقبض فجأة وأمره إلى الله.

خلال الأسبوعين الماضيين،

عزيتُ واحدة من زميلاتي في أخيها توفي في يوم عرفة

وهو يصلي السنة بعد صلاة المغرب فتقول:

كان يصلى صلاة السنة بعدما أفطر مع أبنائه وكان طيّبا معافى، لكن قبلها فى الظهيرة كان يُصلح شيئا على السلّم وأحس بألم ما، تكّة بسيطة، لكنّ الشعور زال مباشرة واستمر في حياته الطبيعية لا شيء فيه! أبناؤه يفطرون معه، صلوا المغرب ورجعوا بعد الفطور الأول وقد وُضع الفطور الثانى، وولده يقول كان يتحدث معى، وهو يتسنن يقول كنا نحن الاثنان بجانب بعضنا البعض، وأنا قمت فقط لآخذ الفطور الأول وأضع الفطور الثانى، يقول التفتّ عليه وإذا هو قد رحل على سجادته هكذا باختصار وليس فيه شيء!

له أخ ثانٍ من سنين مُتعب ومن مصحة إلى مصحة ومن مستشفى إلى مستشفى

وعلاجات، والكل مُتوقع أن الذي سيموت من؟

المريض! إلّا أنّ من توفي هو هذا الصحيح!

فما من إرهاصات تستطيع أن تقول لك متى **تموت**!

أو تنبهك في **عُمر معين**!

فالموت لا ينظر إلى الأعمار

فيقبض الكبير ويترك الصغير بل يأتي فجأةً في أي وقت،

لذلك لمّا يقال لك غريب فأنت تستوحش من دار **الغُربة**! ولا تستهلكك دنياك عن العمل للدار الأُخرى، إذًا هل القضية هي أن نعيش هكذا خائفين في الدنيا، وننتظر متى سنموت، لا أبدًا وإنّما القضية هي أن نستعد للدار الأخرى، ماذا يفعل الغريب في دار الغربة؟ يجمّع المال ويرسله لداره الأصلي، لذلك هو إذا جاء من أجل المال أو من أجل الراتب ماذا يفعل؟ يأخذ هذه الأموال ويرسلها إلى أين؟ إلى بيته الأصلي لأهله لأولاده لأمّه لجدّته للناس المسؤول عنهم يُرسل لهم الأموال في بلاده الأصلية ولذلك يكتفي من الدنيا بالشيء القليل هنا يكتفي بغربته بأي شيء.

واحدة من أخواتي عاشت في كندا لفترة،
كان زوجها مُبتعث تقول أول ما سكنّا في البيت كان لدينا نافذة بدون ستارة،
فقلنا نأثثه ونحضر ستارة، تقول خمس سنين ونحن نقول سنحضر ستارة سنحضر ستارة وما شعرت أن ثمة أهمية أصلًا لأن نحضر ستارة، طبعًا لو كانت هُنا أول شيء سيوضع هو هذه الستارة صحيح؟ لأنها ستشعر أنها هُنا في دار مستقر، لكن تقول هناك نحنُ نعرف أنّ كلها عدة سنوات ونرجع، **فالأولويات** تختلف معك ما الشيء الذي له أهمية وما الذي لا أهمية له؟
فحيّ على جنات عدن ففيها منازلك الأولى وفيها المخيمُ، هناك قصيدة لابن القيم وهو يقول فيها **إن منازلك وبيتك ليست في الدنيا، منازلك ودار الاستقرار**
والمخيم الأصلي لك هو في الجنة، فحيّ على جنات!
هناك هي دارك والمستقر الأصلي لك، فلا تستغرقك الدنيا هُنا وأرسل أموالك وأعمالك التي تجمعها إلى هناك، **فالفكرة** هي كن في الدنيا كأنك غريب فلا تستوطن في الدنيا وأرسل أعمالك، فكل يوم تعيشه إذا أصبحت لا تنتظر المساء وإذا أمسيت لا تنتظر الصباح. ليس بانتظار الموت متى سأموت؟ لا ليست القضية أن تنتظر الموت، القضية هي كيف تجمع أكبر قدر من الأعمال الصالحات لتأخذها إلى ذلك المقر الأصلي.

[أصلح ما بقي]

ولذلك كان يقول الحسن:
المؤمن في الدنيا **كالغريب لا يجزع من ذلّها ولا ينافس في عزّها**،
الناس لهم شأن وهو له شأن آخر. فهو لمّا يكون في دار غربة يعرف هو لماذا لا ينافس هؤلاء الناس، افعلوا ما تفعلون، لا ينافس في عزها، سواء في المناصب أو في الجاه، ظهر اسمه كأول شخص بين الناس رأوه أو ما رأوه، لا ينافس في عزها ولا يجزع من ذلها فلو جاءته نوائب الدهر فقر بعد غنى، مرض بعد صحة، فقد حبيب لا يجزع ذلك الجزع لأنه يعرف أنّ ثمة دار أخرى وفيها الملتقى وأن كل ما يحصل في الدنيا من حزن ومن سراء إنما هي ابتلاءات يبتلينا الله بها، فيقول المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلّها ولا ينافس في عزّها له شأن وللناس شأن آخر.

كان محمد بن واسع يقول:

"ما ظنّك برجل حين سُئل كيف أصبحت؟ فقال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم مرحلة إلى الآخرة؟"

تخيلوا أننا لما نُسأل كيف أصبحت؟

يكون جوابنا هو الحمد لله بخير وطيبون، أمّا الجواب الحاضر في أذهانهم كان فيما معناه كيف يصبح إنسان كل يوم يصبح ويقترب من **آخرته**؟

فيه استعداد ولذلك هؤلاء الناس كيف كانت حياتهم؟ هؤلاء ما كانوا مجرد زهّاد عبّاد في صومعة لا يفعلون أي شيء في دنياهم، بل كانت لهم حياة حافلة يعيشونها، لكن مبدأهم الأساسي، منهجهم في الحياة أنهم يعرفون أن هذه الدقائق والزمن غالي.

الفضيل بن عياض سأل رجل: قال كم أتى عليك؟ يعني كم مضى عليك وأنت تعيش في الدنيا؟ فقال له: "ستون سنة"، فقال له الفضيل: "ستون سنة؟! وأنت تمضي إلى ربك توشك أن تصل! يعني ستون سنة عمرك وأنت تمضي إلى ربك توشك أن تصل. فقال الرجل: "إنا لله وإنا إليه راجعون." يعني ما هذا الكلام! فقال له: "أتعرف ما تقول؟ إنك تقول إنك عبد لله وأنك إليه راجع، فمن عرف أنه راجع فليعرف أنه موقوف، ومن عرف أنه موقوف فليعلم أنه مسؤول، ومن عرف أنه مسؤول فليعدّ للسؤال جوابًا، فقال الرجل: "ما الحيلة؟" يعني ستون سنة ذهبت! فما الحيلة؟ قال:

"يسيرة، أصلح ما بقي من عمرك يغفر لك ما مضى"

وصية بسيطة وسهلة وهي **منهج حياة!**

قال: يسيرة أصلح ما بقي من عمرك يغفر لك ما مضى! كل الذي مضى يغفر لو أصلحت الباقي، إذا ما أصلحنا الستة أيام هذه التي بين أيدينا الآن يغفر لك ما مضى، أصلح ما بقي يغفر لك ما مضى لأن الخيار الثاني الآن الجملة التي سأقولها موجعة! قال :

"فإنك إن أسأت فيما بقي أُخذت بما بقي وبما مضى ".

فالخيار لك! عمرك ثلاثون، عشرون، خمسون أينما وصلت في مراحل عمرك إن أصلحت ما بقي غُفر لك كل الذي مضى وإن أسأت فيما بقي أُخذت بما بقي وبما مضى. فيؤاخذك الله بذنبك بما بقي وبالذي ذهب، لكن لو أنك تبت وأحسنت في عملك

غفر الله لك ما كان منك.

حسنًا، هذا الكلام يصلح لك، عبارة

"أصلح ما بقي، يُغفر لك ما مضى"

ضعوها ضمن الكلمات التي نعيش عليها، والتي كأنها أنوار نستنير بها في حياتنا.

ثلاثة من العلماء اجتمعوا فقالوا:

تعالوا نتذاكر الأمل، أي كل واحد يقول إلى أي مدى هو يأمّل في الدنيا؟

فقال أحدهم: والله ما أتى عليَّ **شهر** فظننت أني أعيش الشهر الذي يليه. يعني الآن نحنُ في ذي الحجة هو ما يتوقع أنه سيعيش محرم! فتخيلوا هو يعيش طوال الوقت وكأنه شادٌ على حزامه ويعمل الصالحات، والذنوب يؤجلها لأنه يعرف أنه ليس بوقتها وأنه لن يدخل في محرم، فيعيش طوال الوقت في شهره على أنه لن يدخل في الشهر الذي يليه، فقال له صاحباه: هذا أمل تنتظر أن عندك شهر! استنكروا عليه، كيف تأمّل أنه ما زال باقي لك شهر؟! فالتفتوا للثاني فقالوا ما أملك؟ قال والله ما أتت علي **جمعة** إلّا ظننت أني لا ألحق الجمعة التي تليها. هذا أقل! يعني يقول أنا والله ما أعيشُ في أسبوعٍ وأتوقع أني أعيش الأسبوع الذي يليه، الآن نحن نتكلم عن استعدادات مدارس ودوامات والأسبوع القادم بميزان، هذا هو أصلًا مستعد أنه أساسًا قد لا يلحق ليعيش الأسبوع القادم، فهو المشكلة أو المشاحنة التي بينه وبين فلان يريد إصلاحها من الآن، والتزاماته وأموره يريد إنهاءها من الآن، لأنه لا يملك أي ضمان على أنه سيدخل الأسبوع القادم أساسًا، ثم قالوا للثالث: ما أملُك أنت؟ قال: ما **أمل** من نفسه بيد غيره، يعني أنا أُأَمّل؟ كيف يأمل إنسان ونفسه بيد غيره؟ أنا حياتي أساسًا تتوقف بقرار من الله عز وجل،

هو الله لو شاء في اللحظة أن يأخذه أخذه!

والله ما أتحدث بمثل هذا الأمر، في قضية الفُجاءة إلّا ويطرأ على بالي أحد المشاهد، ربما حدّثتكم عنه مليون مرة لكنه حقيقة من المشاهد التي لا أنساها لمعلّق رياضي هندي، كان يعلّق في مؤتمر صحفي وخلفه مباراة والكاميرات موجهة عليه وخلفها لوحة إعلانات والمشهد صاخب صاخب، وهو يتكلم وفي لحظة نظر إلى أعلى ثم شد وانشد وانشد ومات في لحظته! في لحظة أقل من ثانية في مؤتمر صحفي في صخب من الدنيا يؤخذ في لحظته! فلا يُمكن أن نؤمِل في لحظة أن ما زال في العمر بقية أو ما زال هُناكَ **مُتسع**!

لذلك قدَّم بعض السلف رجلًا ليصلي، **فتأبّى**!

يعني قال لا أريد أن أصلي بكم، فعزموا عليه أن يصلي بهم وكانت الصلاة صلاة الظهر، قال إن صليت بكم الظهر لن أصلي بكم العصر، فقيل له: وأنت تؤمّل أن تعيش إلى العصر!

أعوذ بالله من طول الأمل!

ونحن إذا لم نحسّن صلاة من الصلوات قلنا الصلاة التي بعدها سأحسن صلاتي قليلًا، تخيلوا هذا يتعوذ من طول الأمل لأن هذا قال إذا صليت بكم الظهر لن أصلي بكم العصر، قال وأنتَ تأملُ أن تعيش إلى صلاة العصر؟! نعوذ بالله من طول الأمل! فهؤلاء قضية الموت حاضرة في أذهانهم، ومستحضرون في أي لحظة أنهم يمكن أن يغادروا. كان بعضهم يقول لأهله كل ما أراد أن ينام: أستودعكم الله!

لأنه ينام نومة يظن أنه قد لا يستيقظ بعدها! وبكر المُزني يقول: لو استطاع أحدكم ألا يبيت إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فليفعل فإنه لا يدري لعله أن يبيت في أهل الدنيا ويُصبح في أهل الآخرة.

فأنت قد تبيت مع أهل الدنيا وتُصبح وأنت في أهل الآخرة،

هي القضية في لحظة كانت بينك وبين الموت وبين الحياة "**لحظة**"،

ولذلك أحيانًا لما يأتيك هذا الخاطر وتتخيله وأنت الآن مُستيقظ من النوم، أو ستنام يكون مُفزع، يا ربِّ لا أريد أن أتذكر، أريد أن أقلّب في هاتفي، أريد أن أفعل أي شيء لا أريد أن أتخيل أنني من الممكن أن أموت وأنا **نائمة**!

لماذا تصير قضية مُفزعة؟

لأن هناك الكثير من الأشياء التي نريد إصلاحها. لا أريد أن أموت اليوم،

أريد أن أفعل كَذا وأريد أن أفعل كَذا وأريد أن أكلّم فلان وأصلح ما بيني وبينه،

وأريد أن أعتذر عن ذلك الموقف، وهذا الأمر إلى الآن أنا لم أتب منه،

والقرارات المؤجلة كثيرة فنفزع من هذا الموت!

وفي المقابل من الممكن أن تنام وأنت مبتسم كما قال أحدهم:

الله خير وافد إليه خير موفود إليه، يعني من أحسن من الله إن كنت تذهب إليه؟

فنحنُ نتكلم عن أرحم الراحمين أكرم الأكرمين فأنت من في حياتك من الممكن أن تشتاق له أكثر من ربك؟ لو صحت أعمالنا ما **جزعنا**! لكن لأننا أفسدنا علاقتنا مع الله عزّ وجلّ نجزع من هذا الخاطر، أمّا هم كان الواحد منهم ينام النومة وهو يظن أنه لن يستيقظ بعدها، لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: **(نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)** [أخرجه البخاري، صحيح]

ما معنى **الغبن**؟ أي أنك تبيع بخسارة، يعني مثلًا تشتري شيئا غاليًا، ثم تعرف أن ثمنه كان رخيصًا فتحسّ بالغبن أنك دفعت مالك على شيء لا يستحق، فهذا الشعور بالغبن هو الشعور في يوم التغابن، فأما الكافر فيشعر بالغبن لأنه ضيّع دنياه في الكفر وأنه لم يؤمن بالله فيشعر أنه انغبن في دنياه يا ليتني عملت الشيء الصحيح، يا ليتني آمنت،

وأمّا المؤمن فيشعر أيضًا بالغبن على ساعة مرّت لم يذكر الله فيها، فلا يندم أهل الجنة على شيء لأن الجنة أصلًا هي دار السرور الدائم، فما يندمون على أي شي إلا على ساعة مرت عليهم في الدنيا لم يذكروا الله عزّ وجلّ فيها، لذلك فكرة أنك غريب أو عابر سبيل من المفترض أن تتحول إلى شيء عملي في حياتك تجعلك طوال الوقت وأنت زنبرك من الأعمال الصالحات، لسانك لا يتوقف، تفكيرك لا يتوقف، ما الشيء الذي عليّ أن أفعله، لا تستطيع أن تستكين، لا تستطيع أن تسكن، لا تستطيع أن تستسلم لحياة الدعة والراحة لأنك تشعر أن عمرك يضيع وأنت لم تسجل فيه أعمالًا صالحات ولا أرسلت أعمالًا صالحات إلى الدار الآخرة، لذلك حينما قال الله عز وجل:

(الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عذاب النار) [191، آل عمران]،

فالفائدة في هذه الآية" :**هذه حالاتك كلها يا ابن آدم** "قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، سواءً أنتَ قائم، أم أنت تمشي تدكّ الأرض دكًّا، أم أنك قاعد في المجلس أم على جنبك يعني أنت مستلقٍ على أريكتك على سريرك أيًا كان، هذه حالاتك كلها يا ابن آدم اذكر الله وأنت قائم فإن لم تستطع فاذكره وأنت جالس فإن لم تستطع فاذكره وأنت على جنبك،

القضية ليست فقط في ذكر الله،

لذلك ابن عقيل له كلمة في هذا يقول فيها:

"لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة أو مناظرة وتعطل بصري عن مطالعة"

فلسانه لا يتحرك كأن يكون في وقت نوم أو لا يستطيع أن يتكلم،

وبصره تعطل عن المطالعة فهو في الظلام في الليل مثلًا، يقول:

"أعملت فكري في حال راحتي وأنا منطرح فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره" أي هم يعيشون عليها كمنهج حياة، ويقول: **"إني لا أحل لي أن أضيع ساعة من عمري"**

أي لا يمكن أن تمر علي ساعة وأنا لا أفعل شيئًا فيها، فلو أن لساني ما تحرك وعيني ما طالعت، فإن ذهني يظل حاضرًا يفكر حتى ما أقوم من نومة ولا أقوم من هذه القيلولة التي أخذتها إلا وعندي شيء أسطره، هذا الذي يتحدث كتب كتابه الفنون في ثمان مئة مجلد! ليس ثلاث مئة ليس ثلاثين ولا عشرين بل ثمان مائة مجلد كتب فيها **كتابه**! ويقول

"وإني لأجد من حرصي وأنا ابن الثمانين على العلم أشد مما كنت أشعر به وأنا ابن العشرين"

لأن في هذا العمر من عاش على شيء مات عليه، ومن شبّ على شيء شاب عليه،

لذلك لا تتخيلي حلولًا سحرية، لا تتخيلي أننا إذا كبرنا سنقوّي أنفسنا ونضع ونفعل، في قراراتك الآن إذا لم تقوّي نفسكِ في عز قوتك وشبابك

وذهنك الحاضر فكلما كبرنا ضعفنا،

وضعفت أيضًا عزائمك إلا طبعًا من أراد الله به خيرًا، لكن الغالب أنك كلما كبرت ضعفت عزائمك وأصبحت أقل في المقاومة وفي المجاهدة، ولذلك أقسم الله عز وجل بهذا العمر في أشياء كثيرة وفي آيات كثيرة، أقسم بالليل أقسم بالنهار بالفجر بالعصر كل هذه والله لا يقسم إلا بعظيم كناية عن عمر هذا الإنسان

ووقته الذي هو **مادة عمره**.

نبينا عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر، وقد قلنا بأننا سنتوقف اليوم عند حديثين

(كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)، [أخرجه البخاري، صحيح]

قلنا هذا النبراس الأول، والحديث الثاني قول النبي عليه الصلاة والسلام: **(اغتنم خمسًا قبل خمس)**

تعرفون الخمس؟ من المؤكد تحفظونها

(شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)،[أخرجه الحاكم في المستدرك، قال الألباني: صحيح]

النبي عليه الصلاة والسلام يقول في حديث آخر له:

(لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن خمس)،

وهناك قال اغتنم خمسًا قبل خمس، الصحة، الفراغ، والشباب، والغنى، والحياة. يقول النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر:

(لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة) أو

(لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن خمس) [أخرجه الترمذي، قال الألباني: حسن]

تعرفون ما معنى **لا تزول**؟ يعني قدمك تكون واقفة لا تتحرك، لن تتحرك أرجل قدميك الاثنتين من أمام الله عزّ وجلّ يوم القيامة حتى تُسأل عن خمس، ولمن يريد تغشيشًا هذا تغشيش!

فالأسئلة الآن أعطانا إياها النبي عليه الصلاة والسلام وأخبرنا بها لنجعلها **منهج حياة** لنُحسن الإجابة فمن عرف أنه راجع يعلم أنه موقوف، ومن عرف أنه موقوف فليعلم أنه مسؤول ومن عرف أنه مسؤول فليعد للسؤال جوابًا، فيقول عليه الصلاة والسلام:

(حتى يُسأل عن خمس عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وماذا عمل بما علم).

كل واحدة منها تؤلم أكثر من الثانية!

الآن أنت أجب،

تخيل لو الله عز وجل سألك أول سؤال: عمرك فيما أفنيته؟

مثلًا متّ وأنت في عمر الخمسة والستين فيما أفنيته؟

متّ وأنت في الأربعة والعشرين سيسألك الله هذا السؤال شبابًا كهولًا عجّزًا صغارًا سيسألك الله عن **عمرك** فيما أفنيته؟

والله ما زلت أدرس في المرحلة الثانوية، أنا للتوّ تخرجت، لا ليس هذا العمر! هذه أحداث حياة، الله كان يسألك عن الأربعة والعشرين ساعة في عمرك فيما أفنيتها؟

أفنيت عمرك في ماذا من العمل؟ في ماذا من العبادة؟ في أيٍّ من القربات؟ في أيٍّ من حاجات الناس؟ في أي من دعوة الناس؟ في أيٍّ من البرّ بوالدة أو بوالد؟ ما هو العمل الذي أفنيت حياتك فيه وتصرمت أيامك؟ ثم يسألك الله عزّ وجل السؤال الثاني عن مرحلة مخصوصة من هذا العُمر كله، فيقول لك وعن **شبابك** فيما أبليته؟

فيسألك عن قوتك لمّا كنت تدكّ الأرض؟ في عزّ شبابك وجمالك وصحتك؟ في عزّ أوجك وانطلاقك في الدنيا؟ هذه المرحلة بالذات هذه العشرون سنة من عمرك سيسألك الله عنها بالذات، فلو توفيت وعمرك ثمانون سنة، هذه جوابها عن العمر فيما أُفني؟ لكن سيسألك الله أيضًا عن العشرين سؤالا مخصوصا، عن شبابك فيما أبليته؟

ثم يسألك الله عزّ وجلّ عن **المال** من أين اكتسبته وفيما أنفقته؟

عروض الوظائف هل هي حلال أم حرام؟ هل فيها اختلاط؟ بنك وفيه ربا؟ رشوة؟ مكان ليس بمكاني لكن لأنني ابن فلان وضعوني مكانه، مالك من أين اكتسبته وفيما أنفقته؟ السؤال هذا جرد.. جرد! وفي عالم الشركات والحكومات وغيرها، أصعب الأيام عليهم وأصعب الشهور هي أوقات الجرد التي يكون فيها السؤال أين ذهب هذا وأين أُنفق ذاك؟!

تخيل أنت أن هناك جرد لحياتك على أموالك، أنت بالذات!

أنا ما كنتُ أغنى الأغنياء أنا ما كان لدي أملاك،
حسنًا كل شيء حتى الألف والألفين والعشرة والخمس مائة والخمسة ريال سيسألك الله من أين جاءت في جيبك؟ وإلى أين ذهبت؟ ثم يسألك الله السؤال المهم: وماذا **عمل** بما علم؟!
ماذا عملت بما علمت؟ عرفت كل هذه الأسئلة فماذا عملت فيها؟ عرفت أنّ النبي عليه الصلاة والسلام يقول: **(كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)** [أخرجه البخاري، صحيح]،
فما الذي غيرته من دنياك؟ ما الشيء الذي أخرجته من قلبك من الدنيا؟ كيف جعلت الدنيا في يدك لكن ما جعلتها في قلبك؟ ولا نافست مع المتنافسين وما كان همك أصلًا الناس ولا نظرهم كل هذا غير مهم **"فلا يجزع من ذلها ولا ينافس في عزها. الناس لهم شأن وله شأن آخر"**،
حسنًا لمّا يقول النبي عليه الصلاة والسلام هذا الحديث معنى هذا أن علينا أن نتوقف عند هذه قليلًا، إذًا سؤالك عن الخمس شبابك قبل هرمك لأننا ما نملك أي ضمانات، ربما سبق وقلت لكم هذه القصة، ابنة أختي وقد كان عمرها تقريبًا ستّ أو سبع سنوات ورأت عجوزًا كبيرة منكمشة على نفسها، قالت أنا لن آكل، لأنني لا أريد أن أصير مثلها ورفضت الأكل يوم كامل من الإقناع، تقول لا أريد أن أكبر وهي تقول كلي حتى تكبري! قالت أكبر لأصير هكذا؟ لا أريد أن أكبر، إذًا ما المفاجأة الثانية أننا لا نملك أننا لا نكبر، نحنُ **سنكبر**. حسنًا هل ثمة خيار آخر؟ نموت! حسنًا، يوجد خيار ثالث؟ لا يوجد، نتحنط؟ لا يوجد، ها هم الفراعنة موجودون في المتاحف،

فنحن إما نكبر وإما نموت

لا يوجد أي خيار آخر، إذًا ما دمت تعرف أنك أنت تطرد طردًا على هذان الاثنان فإذًا من العقل، إذا كنت إنسانًا موهوبًا إذا الله أعطاك عقل بسيط تعرف أن 1 + 1 = 2

وتعرف أن هذه الدنيا ليست دار القرار وأن هناك هو القرار وأننا سنعيش فيها فترة،

فمعناها اغتنم هذا الشباب **واغتنم هذا العمر!**

[مادة عمرك الحقيقي]

فالنبي عليه الصلاة والسلام بدأ الحديث كله بكلمة واحدة

"اغتنم خمسًا قبل خمس" [أخرجه البخاري، صحيح]

كلمة الاغتنام تعني أكبر قدر من الأعمال الصالحة التي تستطيع أن تفعلها في شبابك

فافعلها قبل أن تهرم، وفي صحتك قبل أن تمرض، وفي حياتك قبل أن تموت،

النبي عليه الصلاة والسلام يرشدنا إلى ما هو أشد من قضية الاغتنام وكأنه يقول لا تستهلكك الدنيا ولا تستهلكك حتى الأحداث الجارية ولا تنشغل أصلًا بأن ليس ثمة فائدة أو ثمة فائدة أو أصلا لماذا أنا أفعل هذا أو الناس لم تعد تفعل هذا الشيء وأنا الوحيد الذي أفعله والناس مختلفين عني، النبي عليه الصلاة والسلام يقول: **(إذا قامت القيامة)** لو قامت القيامة ورأيت الشمس والقمر تسجران والبحار تفجر والجبال تمر كمر السحاب والأرض غير الأرض والنار تسجر،

(إذا قامت القيامة وبيد أحدكم فسيلة) فلا تخف لا تجزع لا ترمِها! قال:

(إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها) [أخرجه أحمد في المسند، وقال الألباني: صحيح]

ربما هذه الفسيلة تكون هي الأمان لك من النار وسبب دخولك للجنة، ربما هذه الفسيلة تكون هي حسن خاتمتك، إذا قامت فلا تستهلكك ما الفائدة من كوني أفعل **كذا**؟

ومتى يبلغ البنيان تمامه إذا كنت تبني وغيرك **يهدم**؟

فأنت تشعر أن ما فائدة الشيء السخيف الذي أفعله الآن؟ لا شيء،

إذا كانت بيدك فسيلة وقامت القيامة فاغرسها!

هذه وصية النبي عليه الصلاة والسلام لنا لأنه يقول (**اغتنم**) هي القضية أنك لا تجلس فقط من غير فعل شيء في دنياك ولا في آخرتك، حسنًا إذا أردت أن تعرف ما معنى فكرة **الاغتنام**؟

وربما تقول أن نغتنم يعني أن يذهب العمر كله ونحنُ نصلي،

فقط إذا زدتها دقيقة أو دقيقتين أحس أنني فعلت شيء كبير ونظن أننا نفعل الشيء الكثير،

سأعطيك شيء بسيط مجرد معادلات بسيطة

وخذها معك!

هناك جدول قرأته اليوم،

أن شخصًا عمره في السبعين هذا الشخص الذي عمره في السبعين لو كان يوميًا ينام سبع ساعات أو ثمانِ ساعات ويشتغل في عمل سبع ساعات، فالنوم يأخذ ما يقارب 30% من حياته **أي21 سنة** تمامًا من الـ 70 سنة! مضت عليه 21 سنة وهو نائم، وعمله إذا كان يشتغل سبع ساعات فتذهب عليه **20 سنة ثانية!** من السبعين سنة، كم صارت من المئة؟ 60% من عمره يذهب في نوم وفي شغل! إذًا كم تبقى له، تبقى له 40% الآن نحنُ أنهينا 21 و20 سنة، هذه 40 سنة ذهبت! ما يتبقى إذًا من العمر لو كنت تستغرق في الأكل خلال اليوم ساعة، وقد ذُكر ذلك في الجدول فهذا معناه أربع سنوات ونصف! ولو كنت في زيارات الأهل واللقاءات الاجتماعية تستغرق نصف ساعة، وقم بالحسبة أنت، نحنُ كم نقضي في الجلسات معًا باليوم؟ هذه أيضًا تذهب منك، خلاصة هذا الكلام كله بعدما يحسب الأكل بعدما تحسب الزيارات بعدما يُحسب الوقت المُهدر على الهاتف والهاتف وُضع له في الجدول ساعة واحدة فقط! المتبقي لك من الـسبعين سنة تسع سنوات فقط! إذا كنت ترغب برؤية ذلك خذ أنت الأربعة وعشرين ساعة واحسب منها السبعة والثمانية ساعات، كم ساعة ذهبت إلى الآن؟ خمسة عشر ساعة، كم تبقى لك؟ تسع ساعات وهكذا. إذًا تسع سنوات هي المتبقية لك، وهذه التسع سنوات لشخص عمره سبعون عامًا، ونحنُ لا نملك أي ضمانات أننا سنكمل السير حتى الـسبعين عامًا! أنت أصلًا انظر ليومك وفتّت الأربعة وعشرين ساعة، واحسب منها وقت الأكل والشرب وهاتفك كم نستغرق من الوقت على هواتفنا وكم نجلس على وسائل التواصل واحذف. هذا الجدول الذي قاموا بوضعه مثالي جدًا، حُسبت فيه ساعة للهاتف فقط، ونصف ساعة للزيارات والأهل، فتخيل لو كنّا نحن نستهلك باليوم الواحد ما لا يقل عن ثلاث ساعات في محادثات وإلى آخره. ثلاث ساعات هذه معناها أكثر من ستّ سنوات من عمرك، يعني الباقي قليل جدًا لذلك لما يقول النبي عليه الصلاة والسلام: (**اغتنم**)وتكون أنت في لحظة فراغ، أنت جالس الآن لا يقف لسانك ولا تقف جوارحك ولا يقف ذهنك عن التفكير في شيء من أعمالك الصالحات، كان يقول أحدهم:

" الدنيا ثلاثة أيام أما الأمس فقد ذهب بما فيه، وأما غدًا فلعلك لا تدركه، وأما اليوم فلك فاعمل فيه"

فلا تأمّل على الغد لأن الغد ربما لن يأتي، والذي ذهب انتهى،

فما الذي صفى لك من هذه الثلاثة أيام؟ **اليوم**!

ولذلك الآن هناك عبارة يتداولونها كثيرًا بمعنى

لا تحدثني عن إنجازاتك الكبيرة، حدثني عن إنجازاتك اليومية البسيطة!

فأنت مثلًا لما تجلس مع أحدهم وتسأله ماذا فعلت؟ يقول لك والله أنا أفكر بأن أفتح محل، والله أفكر بأن أفعل الشيء الفلاني، والله أنا أفكر وربما نفس التفكير مضى عليه أربع سنوات، كل مرة لديه مشروع وقرار أنه يريد أن يفعل، وأننا نريد أن نفعل، وهو يقول لا تحدثني عن آمالك ولا عن أحلامك ولا إنجازاتك الكبيرة حدثني عن إنجازاتك **اليومية البسيطة**،

اليوم كم جزء من القرآن قرأت؟ كم صفحة حفظت؟ كم مكروب فرجت كربته؟ كم صدقة تصدقت؟ كم عمل صالح عملت؟ كم ركعة ركعتها؟ كم بر ومعروف عملته مع غيرك؟ كم وكم هذه هي إنجازاتك اليومية لأن يومك سيغدو عمرك، التسع ساعات المتبقية لك من يومك تقريبًا هي التي ستصير تسع سنوات لاحقًا من السبعين سنة، لذلك لا تنشغل بأهدافك الكبيرة وأنك تريد العمل على مشروع وتريد أن تحقق ويضيع يومك،

لأنك لو ما صحّ يومك لن يصحّ عمرك!

وهذا الشيء مهم جدًا أن تعرفه عن العمر فهو خطوات فلو ما صحت خطواتك الأولى لن تصح خطواتك بعدها، كان بعضهم إذا أطال الناس الجلوس عنده قال: أما تريدون القيام؟

فإن الشمس لا تمسك عن الجري، فالناس لما يمكثون وقتًا طويلًا عنده يسألهم ستطيلون أكثر؟ لأن الشمس لا تتوقف، كان شعورهم الدائم بالطرد وكأن خلفه شيء يركض،

القضية ليست أنه إنسان مستعجل، لا ليست القضية كذلك ولا هي قضية طبائع، أنا أتكلم عن شيء آخر، هم كانوا يعيشون بمفهوم أن هذا الوقت غنيمة وأني لا أستطيع أن أغير، يعني ليس بيدي أن أطيل الجلوس أكثر حتى أقرر قرارًا، آكل؟ أطلب قهوة أم لا؟، هذا وقت من عمرك من مادة حياتك، ابن القيم يقول:

"إضاعة الوقت أشد من الموت لأن الموت يقطعك عن الدنيا"،

يعني ما الذي في الموت ستموت فقط! أما إضاعة الوقت فإنه يقطعك عن الله والدار الآخرة فالشيء الذي كان من الممكن أن يقربك من الله أنت قطعته بينك وبينه،

ونحنُ نخاف من الموت ولا نخاف من ضياع الوقت،

الحسن البصري يقول:

" أدركت قومًا كانوا على أوقاتهم أشد منهم شحًا وحرصًا منكم على دراهمكم ودنانيركم"

تأمّلوا كيف نحنُ نحسب وننتظر الراتب وكيف نتأكد ونقوم بعمل **جدولة**؟

تأمّلتم هذا الحرص؟ كانوا هم أشدّ حرصًا على أوقاتهم منه، ليس الحرص والله حتى يحقق إنجازات في سيرته الذاتية، لا وإنّما لأنه يشعر أن هذا هو عمري في الآخرة فأنا لو الآن ضاعت مني الساعة ضاع مني بيت في الجنة ضاع مني نخيل في الجنة فهو يشعر أن هذا الوقت هو مادة العمر الحقيقي.

ابن مسعود يقول:

" ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت فيه شمسه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي"

ما ندمت على شيء من العمر إلا يوم أظلم الليل فيه وأنا ما زدت شيء في عملي، يعني اليوم ذهب هكذا لا صمتُ فيه ولا قرأت ولا عملت عملًا صالحًا، وشغلي ذهبت إليه وما احتسبت ولا أدري اليوم أين ذهب، أصلًا لا أدري آخر عشر سنوات من حياتي كيف ذهبت، وقد يكون مضى علي خمس سنين وأنا لا أدري أشعر أني **تائه**، أصلًا أشعر أن عمري كله تصرّم وأنا لا أدري إلى أين أنا ذاهب، ولا أدري عن الذي كان هنا أين ذهب؟ هذه المشاعر هي عمرك.

حسنًا، أنت لو كنت ستمضي هكذا كان ذلك هيّن!

لكن المشكلة أنك **ستُسأل وستُوقف!**

دخل أحدهم على البيروني يجود بنفسه وقد حشرجت الروح في صدره، وقد بلغ من العمر 78 سنة، فرأى البيروني وهو في حالة النزع علي بن عيسى وهو أحد العلماء وكان حاضرا في وفاته جالسًا بجانبه، فسأله عن مسألة فقهية، ما قوله فيها؟ فقال له أفي هذه الحالة؟ يعني ليس وقته الآن أجلس وأشرح لك، فقال البيروني: يا هذا أودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة خير من أن أخليها -يعني الدنيا- وأنا جاهل فيها، فأخذ المسألة ووعاها يعني شرح له الأقوال في المسألة فأخذها ووعاها، فيقول علي بن عيسى فخرجت من عنده فسمعت الصراخ يعني توفي بعدها، يعني كان في النزع الأخير!

فلما نقول اغتنم خمساً قبل خمس

وكيف كانوا يجعلونها **منهج حياة**، ولما نقول إذا قامت القيامة هذا قامت قيامته، فهم يطبقون الحديث بفعله وحذافيره هو قامت قيامته فهو الآن متجه إلى الدار الآخرة ومع ذلك عنده فسيلة وعنده هذه المسألة ربما هذه المسألة هي التي تنجيه عند الله عزّ وجلّ ربما يكتب فيها شيء ربما الآن يقول فيها قول وكم من العلماء في آخر لحظاته مثلاً كتبت عنهم كلمة أو مسألة. فقال يا هذا أخرجُ من الدنيا وأنا عالمٌ بهذه المسألة خيرٌ لي من أن أخرج منها وأنا جاهلٌ بها.

عمر بن الخطاب يقول:

إني لأكره للشاب أن يكون سبهللا لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة،

سبهللة: يعني لا يدري ماذا يفعل. يعيش حياته كما تكون. وسبهلل لا تنقذه فيها أنه طالب أو هو موظف، ماذا غير ذلك؟ حياتك فيما تفنيها؟ جدول يومك الأربع وعشرين ساعة كيف تنقضي؟ لا تقل لي أنا موظف لا تقولي لي أنا طالبة لا تقولي لي أنا...

ما الشيء الذي تفنى فيه ساعات **عمرك**؟ بماذا تُحرق هذه الساعات؟

فلذلك داود الطائي قال له أحدهم هلا سرحت لحيتك يعني لو مشطت لحيتك، قال: أسرح لحيتي إني إذًا لفارغ! -لو يرى أشكال الشباب اليوم!-. قال: أسرح لحيتي إني إذاً لفارغ، تخيلوا نحنُ لمّا نقول الأصبهاني كان يروى عنه قوله: وددت لو أن رزقي نواةٌ أمصها!

النواة نواة التمر وليس التمرة، فيقول: النواة أمصها سأمت من ترادي على الخلاء. يعني كل هذا نذهب إلى الخلاء، يأكل ويشرب ويذهب إلى الخلاء. يعني ما الوقت الضائع هذا، متخيلين؟ هؤلاء الناس كانوا يشعرون تجاه أوقاتهم أنها أوقات ثمينة جدًا. يقول: وددت لو أن رزقي نواة أمصها سأمت من ترادي إلى الخلاء. ولذلك هؤلاء الناس كانت تحصل في حياتهم من البركة ما لا يمكن أن تدركه عقولنا، النووي كان يحضر اثني عشر درساً في اليوم! فقط هذه الليلة حاول توزيعها على الأربع وعشرين ساعة، اثنا عشر درسًا في اليوم يعني كل ساعتين درس وللعلم كان عندهم دروس في السحر! وكان عندهم دروس بعد الفجر وكانوا يلحقون، وكان بعض الطلاب يتناوبون. كان يحضر اثني عشر درسًا في اليوم،

يعني كم في **الأسبوع**؟

نحن لأجل أن نأتي لحلقة نحس أننا نقوم بمجاهدات كثيرة

لأجل أن نحضر حلقة في الأسبوع! هو يومياً يحضر اثنتي عشرة حلقة!

وكان الشوكاني يدرس لطلابه ثلاثة عشر درسًا في اليوم. الإمام الشوكاني صاحب المؤلفات!

يقول إنه كان يدرس طلابه ثلاثة عشر درسًا في اليوم في التفسير والحديث والأصول والنحو والمعاني والبيان، من غير الفتاوى التي تأتيه فيكتب جوابها، بالإضافة إلى مؤلفاته التي كان يؤلفها، أي بركه في **العمر**؟ لهذا لما يسأله الله عن عمره فيما **أفناه**؟

لديه جواب.. ولما نحنُ نُسأل هذا السؤال والله لا أعرف بماذا سنجيب؟ فبماذا أفنيت عمرك أنت اليوم الأربع وعشرون ساعة كيف حُرقت عندك؟ ثلاث عشرة درسًا يعني لو قسمت اثني عشر درسًا كم ستقول؟ ساعتين كل يوم. ومن الممكن أن تتخيل وتقول يا ربّ لا،

لا أتخيل أكيد ثمة مبالغة.

فلذلك عبد الرحمن بن أبي حاتم يقول كنّا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة يعني كانوا طلاب علمٍ يحضرون الدروس، ثلاثة عشر درسًا أو اثنا عشر درسًا في اليوم، يقول كنا في دروسٍ متتابعة إلى درجة أننا ما نأكل شيئًا حارًا. يقول: ففي إحدى الدروس دخلنا الحلقة فقالوا إن الشيخ عليل مريض فرجعنا إلى البيت فوجدنا وقتًا نأكل فيه يقول فأخذنا سمكة فرجعنا إلى البيت لنطبخها فإذا هو وقت الدرس التالي! فتركوا السمكة في البيت وذهبوا إلى الدرس التالي يقول فمضينا في ذلك ثلاثة أيام حتى كادت أن تتغير يعني دخلوا في الدوامة ثلاثة أيام ونسوا السمكة الموجودة في البيت يقول فأكلناها نيئة،

لأنه لا وقت لديهم ليطبخوها! فلما تسأل عن ثلاثة عشر أو اثني عشر لأن هؤلاء كانوا يشعرون في أيامهم بمثل هذه البركة، ثم قال ابن أبي حاتم: لا يستطاع العلم براحة الجسد. يا من تريد أن تغتنم وتظن أنك سترتاح وستلقى الدنيا والآخرة يقول لا يُستطاع العلم براحة الجسد !لذلك الله عزّ وجلّ وأختم بهذه الآيات لم يجعل هذا الأمر مفاجأة لنا وإنّما ذكره في العديد من الآيات عن لحظة الندم التي يرجوها الإنسان فقط يا ربِّ لو أرجع! فيقول الله عز وجل في سورة المؤمنون

(حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ ارجعون لعلي أعمل صالحًا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائه برزخٌ إلى يوم يبعثون) [100، المؤمنون]

فيقول الله عز وجل

أنه سيأتي يوم على الإنسان يشعر فيه **بالغبن**

والذي لم يغتنم عمره والذي ضيعه بملذات وشهوات وقرارات مؤجلة

وما زال لا يدري متى يتغير، ومتى سيفعل الأشياء التي يريدها في حياته، ويمضي العمر فيك وأنت

سبهللا يقول سيأتي يوم **(حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ ارجعون)**

يعني يا ربِّ ارجعني فيقول الله عز وجل **(كلا إنها كلمة هو قائلها)** ومن وراءه برزخٌ إلى يوم

يبعثون ويقول الله عز وجل في سورة المنافقون:

(وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) [10، المنافقون]

يعني يا رب عرفت أنه صدق، عرفت الآن أن الكلام الذي كانوا يقولونه صحيح،

فيا رب فقط ارجعني أعمل صالحًا فيما تركت، سأرجع وأعمل، فقط لو آخذ فرصة ثانية. ويقول الله

عز وجل في سورة فاطر عن هذه اللحظة أيضًا قولهم

(ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل) [37، فاطر]

فيقول الله عز وجل رادًا عليهم

(أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) [37، فاطر]

قيل النذير هو **الموت** في الأقران،

الموت في الناس الذين هم من حولك الذين ترينهم،

العزاء الذي أنت تعزي فيه، هذا نوع من النذير وقيل النذير هي شعرة الشيب

التي بدأت برؤيتها في شعرك وقيل النذير هو عمر الأربعين فلما ترى أنك الآن

تختم الثلاثين وتقترب من الأربعين هذه

كلها من النذر.

فلا تنتظر إلى تلك اللحظة الغائبة من أجل أن تقرر قرارتك،
وإنما أنت في مستهل عامٍ جديد وعندك أولويات تريد أن تضعها خذ الآن خطتك الشخصية
وضع أهدافك لهذا العام على ضوء حديث الرسول عليه الصلاة والسلام،
وراجع أولوياتك في الحياة، وما الشيء المهم وما الشيء الأهم،
وما الشيء الذي يجب أن نبادِر فيه قبل أن نُبادَر.

هذا وأسأل الله أن يغفر لي ولكم
والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
سبحانك اللهم وبحمدك.

تنويه مادة المحاضرة جُمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلّ بروح المحاضرة ومعانيها